الباب الثامن
نماذج من رواية حماد للشعر

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخل

لن نخوض في هذا الباب كثيراً من مناقشة الروايات وبيان الموقف منها، فقد أشرنا إلى بعضها في ثنايا هذه الدراسة، وإنما جعلناها هنا مادة علمية مجموعة يمكن الرجوع إليها والتحقق مما مضى من نقاش وعرض، ولكي يستضيء القارىء، وهو يتابع هذه الدراسة فيكوِّن قناعة شخصية، تمكنه من التخلص من الرواسب الماضية التي تشبث بها «البحث العلمي» المعاصر، والتي راجت عن حماد خلال أحقاب العصور. ونقدم في كل فصل من فصول هذا الباب خلاصة لما يمثل حلقة اتصال بين الأبواب والفصول السابقة، وهذا الباب وفصوله، بحيث تكون الشواهد والأمثلة هي الناطقة عن تلك الحقيقة التي سعت الدراسة دؤوبة حثيثة للكشف عن جوانبها المتداخلة، والتي أصبحت غائرة في أجواء مكتظة بالاتهامات والادعاءات والمزاعم، دون وضع حدود ثابتة شاخصة للأعمال الشفوية، ومن غير أن تتجسد رؤية نقدية فاحصة لشخصية الراوية الشفوي ودوره في التراث العربي القديم.

وعلى الرغم من عدم التركيز على نماذج مروياته، فقد كان هناك تحليل لبعض ما تبقى من شعره، وهو العمل الذي، إذا وضعناه في موضعه الصحيح، سيؤدي بنا إلى الفصل نهائياً بين حماد الراوية وحماد الشاعر، وسيقرِّب حماداً تقريباً كلياً من طبيعة الرواية الشفوية بظروفها وخصائصها ومميزاتها الفنية والموضوعية والشخصية.

الفصل الأول

إنشاده في العصر الأموي

أ ــ زياد بن أبيه: (ت ٥٣ هـ):

«دخلت على زياد، فقال لي: أنشدني، فقلت: من شعر من أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى، فأنشدته:

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالُهَا

قال فما أتممت القصيدة، حتى تبينت الغضب في وجهه؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا فقاموا؛ ثم لم أعد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير، تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة»[1].

ب ــ يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ ـ ١٠٥ هـ):
جـ ــ وهشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ ـ ١٢٥ هـ):

١ ــ «كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان، فكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد، وأفضت الخلافة إلى هشام، خفته، ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً، فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة، أمنت

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ٨٨.

فخرجت، فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي، فقالا لي: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: مِنْ هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي، فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل، فاستسلمت في أيديهما، وصرت إلى يوسف بن عمر، وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ورمى إليَّ بكتاب فيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين، إلى يوسف بن عمر. أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا، فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروَّع ولا متعتع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق، فأخذت الدنانير ونظرت، فإذا جمل مرحول، فوضعت رجلي في الغراز، وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام، فاستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام... وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب من خز حمر، وقد تضمخ المسك والعنبر، فسلمت عليه، فرد علي السلام، واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما...، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين. قال: أتدري فيما بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله، قلت: وما هو؟ فقال:

وَدَعْـوا بِـالصَّبُـوحِ يَـوْمـاً فَجَـاءَتْ قَيْنَـةٌ فِـي يَمِينِهَـا إِبْـرِيـقُ

قلت: هذا يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة، قال: فأنشدنيها، فأنشدته:

بَكَـرَ الْعَـاذِلُـونَ فِـي وَضَـحِ الصُّبْـ ـحِ يَقُـولُـونَ لِـي أَمَـا تَسْتَفِيـقُ
وَيَلُـومُـونَ فِيـكَ يَـا بْنَـةَ عَبْـدِ اللَّـ ـهِ وَالْقَلْـبُ عَنْكُـمُ مَـوْثُـوقُ
لَسْـتُ أَدْرِي فَـإِذْ كَثُـرَ الْعَـذْلُ فِيهَـا أَعَـذُولٌ يَلُـومُنِـي أَمْ صَـدِيـقُ

زَانَهَـا حُسْنُهَـا وَفَـرْعٌ عَمِيـمٌ وَأَثِيـثٌ صَلْـتُ الْجَبِيـنِ أَنِيـقُ
وَثَنَـايَـاً مُفَلَّجَـاتٌ عِـذَابٌ لاَ قِصَـارٌ وَلاَ هُـنَّ رُوقُ
فَـدَعَـوْا بِـالصَّبُـوحِ يَـوْمـاً فَجَـاءَتْ قَيْنَـةٌ فِـي يَمِينِهَـا إِبْـرِيـقُ
قَـدَّمَتْـهُ عَلَـى عُقَـارٍ كَعَيْـنِ الـدِّ يـكِ صَفَّـى سُـلاَفُهَـا الـرَّاوُوقُ
مُـرَّةً قَبْـلَ مَـزْجِهَـا فَـإِذَا مَـا مُـزِجَـتْ لَـذَّ طَعْمُهَـا مَـنْ يَـذُوقُ
وَطَفَـتْ فَـوْقَهَـا فَقَـاقِيـعُ كَـالـدُّ رِّ صِغَـارٌ يُثِيـرُهَـا التَّصْفِيـقُ
ثُـمَّ كَـانَ الْمِـزَاجُ مَـاءَ سَحَـابٍ غَيْـرَ آجِـنٍ وَلاَ مَطْـرُوقُ

قال: فطرب هشام، ثم قال: أحسنت يا حماد، يا جارية أسقيه، فسقتني حتى ذهبت بثلث عقلي، وقال: أعد، فأعدت، فاستخفه الطرف حتى نزل عن فرشه.... فقال: سل حاجتك...، قلت: إحدى الجاريتين. فقال لي هما جميعاً لك بما عليهما ومالهما...، فأقام عنده مدة، فوصل إليه بمائة ألف درهم، وهذا هو الصحيح، لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكراً، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه»[1].

٢ ــ «الهيثم بن عدي... عن حماد الراوية... قال: استقدمني هشام بن عبد الملك في خلافته، وأمر لي فصيلة سنية وحملان، فلما دخلت عليه، استنشدني قصيدة الأفوه الأودي:

لَنَـا مَعْشَـرٌ لَـمْ يَبْنُـوا لِقَـوْمِهِـمُ وَإِنْ بَنَـى قَـوْمُهُـمْ مَـا أَفْسَدُوا عَـادُوا

قال: فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول أبي ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ

فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول عدي بن زيد:

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ

---

(١) الأغاني، جـ٦، ص ص ٧٣ ـ ٧٤.

فأنشدته إياها، فأمر لي بمنزلة وجراية، وأقمت عنده شهراً، فسألني عن أشعار العرب، وأيامها، ومآثرها، ومحاسن أخلاقها، وأنا أخبره، وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحملان، وردني إلى الكوفة، فعلمت أن أمره مقبل. ثم استقدمني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عن شيء من الجد إلا مرة واحدة، ثم جعلت أنشده بعده في ذلك النحو، فلا يلتفت إليه، ولا يهش إلى شيء منه، حتى جرى ذكر عمار ذي كناز فعرفه، . . . ثم قال لي: هل عندك شيء من شعره؟ قلت نعم: أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرة عبثي به قد حفظتها، فأنشدته قصيدته التي يقول فيها:

حَبَّـــذَا أَنْـــتِ يَـــا سَـــلاَ مَـــةُ أَلْفَيْـــنِ حَبَّـــذَا»[1]

د ــ الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ):

١ ــ «جلس الوليد يوماً وجارية تغنيه، فأنشدها الوليد:

قينة في يمينها إبريق

قالت الجارية المغنية: لو أتممت الشعر، غنيت به. قال: لست أرويه. وكتب إلى حماد، فحمل إليه، فلما دخل عليه الوليد:

قينة في يمينها إبريق

فأنشدها حماد الراوية:

ثم نادى ألا أصبحوني. . .»[2]

٢ ــ «. . . حماد الراوية قال:

استنشدني الوليد بن يزيد، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة، فما استعادني إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) الأغاني، جـ ٢٣، ص ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩. . . وانظر بقية القصيدة. ولعل القصة وقعت حقيقة مع الوليد بن يزيد لا هشام، كما جاء في جـ ٦، ص ١٢٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد، جـ ٤، ص ٤٥٨.

طَـالَ لَيْلِـي وَتَعَنَّـانِي الطَّـرَبْ

فلما أنشدته قوله:

فَـأَتَتْهَـا طَبَّـةٌ عَـالِمَـةٌ تَخْلِـطُ الجِـدَّ مِـرَاراً بِـاللَّعِـبْ

إلى قوله:

إِنَّ كَفِّـي لَـكِ رَهْـنٌ بِـالـرِّضَـا فَـاقْبَلِـي يَـا هِنْـدُ قَـالَـتْ قَـدْ وَجَـبْ

فقال الوليد: ويحك يا حماد! اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى، يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلقها ليتزوج أختها، ثم تتبعتها نفسه»[1].

٣ ــ عن ابن الكلبي عن حماد الراوية، قال: دخلت يوماً على الوليد، وكان آخر يوم لقيته فيه، فاستنشدني، فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام، فما هش لشيء منه، حتى أخذت في السخف، فأنشدته لعمار بن ذي كناز مجتبذاً.

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب، فشرب، وجعل يستعيدني الأبيات، فأعيدها حتى سكر، وأمر لي بجائزة، فعلمت أن أمره قد أدبر»[2].

٤ ــ «حماد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السحر والقمر طالع، وعنده جماعة من ندمائه، وقد اصطبح، فقال: أنشدني في النسيب، فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يهش لشيء منها حتى أنشدته قول عدي بن زيد:

أصبـــح القـــوم قهـــوة فـــي الأبـــاريـــق تحتـــذي

---

(١) الأغاني، جـ ١، ص ١٣٨.

(٢) الأغاني، جـ ٦، ص ١٢٤ وهو شعر لم نورده هنا.

مـــن كميـــت مـــدامـــة حبـــذا تلـــك حبـــذا

فطرب، ثم رفع رأسه... قال حماد، ثم أحضرني فخلع علي خلعاً من فاخر ثيابه، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وحملني على فرس»[1].

٥ ــ «قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفيه: قريش وثقيف، فنظرت في كتابَي قريش وثقيف. فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بَلِي، فأنشدته منها ما استحسنه، ثم قال: أنشدني في الشراب ـ وعنده وجوه من أهل الشام ـ فأنشدته:

إِصْبَـــحِ الْقَـــوْمَ قَهْـــوَةً فِـــي أَبَـــارِيـــقَ تُحْتَـــذَى
مِـــنْ كُمَيْـــتٍ مُـــدَامَـــةٍ حَبَّـــذَا تِلْـــكَ حَبَّـــذَا
يَتْـــرُكُ الأُذْنَ شُـــرْبُهَـــا أُرْجُـــوَانـــاً بِهَـــا خُـــذَا

فقال: أعدها، فأعدتها، فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَينا متى نُقلنا، ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضيفان، فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس، وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول: فعل الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا»[2].

٦ ــ قال حماد الراوية، استدعاني الوليد بن يزيد، وأمر لي بألفين لنفقتي، وألفين لعيالي، فقدمت عليه، فلما دخلت داره، قال لي الخدم: أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء، فسلمت بالخلافة، فقال لي: يا حماد. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ثم ثاروا، فلم أدر ما يعني، فقال: ويحك يا حماد! ثم ثاروا، فقلت في نفسي: راوية أهل العراق، لا

---

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، جـ ٦، ص ص ٨٩ ـ ٩٠.

الكميت: الخمر التي تضرب حمرتها إلى السواد.

يدري عما يسأل، ثم انتبهت، فقلت:

«ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ»[1]

٧ ــ حماد الراوية قال: دخلت على الوليد بن يزيد، وهو مصطبح، وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة... وعلى رأسه وصيفة... فقال لي: يا حماد أنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك، فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبي:

شَمَّاءُ وَاضِحَةُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ ... كَالْبَدْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ الْمُنْجَلِي

وَكَأَنَّمَا رِيحُ الْقَرَنْفُلِ نَشْرُهَا ... أَوْحَنْوَةٌ خُلِطَتْ خُزَامَى حَوْمَلِ

وَكَأَنَّ فَاهَا بَعْدَمَا طَرَقَ الْكَرَى ... كَأْسٌ تُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لأَشْمَطَ رَاهِبٍ ... فِي رَأْسِ مُشْرِفَةِ الذُّرَى مُتَبَتِّلِي

جَارِ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ ... حَتَّى تَخَدَّدَ لَحْمُهُ مُسْتَعْمِلِ

لَصَبَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا ... وَلَهَمَّ مِنْ نَامُوسِهِ بِتَنَزُّلِ

فقال الوليد، أصبت وصفها، فاخترها أو ألف دينار، فاخترت الألف دينار..»[2]

٨ ــ قال حماد: «إن الوليد بن يزيد... استنشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع

فأنشدته حتى أتيت على آخرها»[3].

---

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، جـ ٢٢، ص ص ٩١ ـ ٩٢.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ ٤ ص ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

الفصل الثاني

إنشاده في العصر العباسي

أ ــ أبو مسلم الخراساني (قتل سنة ١٣٧ هـ):

١ ــ «قال حماد الراوية: أرسل إليَّ أبو مسلم ليلاً، فراعني ذلك فلبست أكفاني ومضيت، فلما دخلت عليه، تركني حتى سكن جأشي، ثم قال لي: ما شعر فيه «أوتاد؟» قلت: من قائله أصلح الله الأمير: قال: لا أدري. قلت: فمن شعراء الجاهلية أم شعراء الإسلام؟ قال: لا أدري. قال فأطرقت حيناً أفكر فيه، حتى بدر إلى وهمي شعر الأفوه الأودي، حيث يقول:

لاَ يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لاَ سُرَاةَ لَهُمْ ... وَلاَ سُــرَاةَ إِذَا جُهَّــالُهُــمْ سَــادُوا
وَالْبَيْــتُ لاَ يُبْتَنَــى إِلاَّ لَــهُ عَمَــدٌ ... وَلاَ عِمَــادَ إِذَا لَــمْ تُــرْسَ أَوْتَــادُ
فَــإِنْ تَجَمَّــعَ أَوْتَــادٌ وَأَعْمِــدَةٌ ... يَـوْمـاً فَقَـدْ بَلَغُـوا الأَمْـرَ الَّـذِي كَـادُوا

فقلت: هوه الأفوه الأودي، أصلح الله الأمير، وأنشدته الأبيات، فقال: صدقت، انصرف إذا شئت. فقمت، فلما خطوت الباب لحقني أعوان له، ومعهم بدرة، فصحبوني إلى الباب، فلما أردت أن أقبضها منهم، قالوا: لا بد من إدخالها إلى موضع منامك، فدخلوا معي، فعرضت أن أعطيهم منها شيئاً، فقالوا: لا نقدم على الأمير»[1].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، جـ ٥، ص ٣٠٨.

٢ ــ دخلت على أبي مسلم، فاستنشدني، فأنشدته قول الأفوه:

لنا معشر لم يبنوا لقومهم.

فلما بلغت إلى قوله:

تَهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ ... وَإِنْ تَــوَلَّــتْ فَبِــالأَشْــرَارِ تُنْقَــادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل»[1].

ب ــ أبو جعفر المنصور (١٣٦ هـ ــ ١٥٨ هـ):

«طلب المنصور حماداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرَّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجهوا إليه برسول يشخصه، قال الرسول: . . . أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالة أرفع، ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصته إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هِفّان بن همام بن نضلة يرثي أباه؛ فأنشده:

خَلِيلَـيَّ عُـوجَـاً إِنَّهَـا حَـاجَـةٌ لَنَـا ... عَلَـى قَبْـرِ هَمَّـامٍ سَقَتْـهُ الـرَّوَاعِـدُ

عَلَى قَبْرِ مَنْ يُرْجَى نَدَاهُ وَيُبْتَغَى ... جَـدَاهُ إِذَا لَـمْ يَحْمَـدِ الأَرْضَ رَائِـدُ

كَـرِيـمِ الثَّنَـا حَلْـوِ الشَّمَـائِـلِ بَيْنَـهُ ... وَبَيْـنَ الْمُـزَجَّـي نَفْنَـفٌ مُتَبَـاعِـدُ

إِذَا نَـازَعَ الْقَـوْمُ الأَحَـادِيـثَ لَـمْ يَكُـنْ ... عَيِيَّـاً وَلاَ ثِقْـلاً عَلَـى مَـنْ يُقَـاعِـدُ

صَبُـورٌ عَلَـى الْعِـلاَّتِ يُصْبِـحُ بَطْنُـهُ ... خَمِيصـاً وَآتِيـهِ عَلَـى الـزَّادِ حَـامِـدُ

وَضَعْنَا الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى فِي حَفِيرَةٍ ... بِحُـرِّيـنَ قَـدْ رَاحَـتْ عَلَيْـهِ الْعَـوَائِـدُ

صَرِيعاً كَنَصْلِ السَّيْفِ تَضْرِبُ حَوْلَهُ ... تَــرَائِبَهُــنَ الْمُعْــوِلاَتُ الْفَــوَاقِــدُ

قال: فبكي أبو جعفر، حتى أخضَل لحيتَه، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس، رضي الله عنه»[1].

---

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٧ ـ ٧٨.

النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء.

المزجي: الضعيف. النفنف: المهواة بين الجبلين.

جـ ـ جعفر بن أبي جعفر المنصور (ت ١٥٠ هـ):

«كان جعفر بن أبي المنصور، المعروف بابن الكردية، يستخف مطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه، وله معه منزلة حسنة، فذُكر له حماد الراوية، وكان صديقه، وكان مطَّرحاً مجفوا في أيامهم، فقال: إئتنا به لنراه. فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك، وأمره بالمسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية وما لي عند هؤلاء خير، فأبى مطيع إلا الذهاب إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفاً، ثم أتاه، ثم مضى به مطيع إلى جعفر. فلما دخل عليه سلم عليه سلاماً حسناً، وأثنى عليه، وذكر فضله؛ فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس. قال جعفر: أنشدني؛ فقال لمن أيها الأمير؟ ألشاعر بعينه، أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حماد: فسُلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله:

بَـانَ الْخَلِيـطُ بِـرَامَتَيْـنِ فَـوَدَّعُـوا أَوَ كُلَّمَـا اعْتَـزَمُـوا لِبَيْـنٍ تَجْـزَعُ

فاندفعت فأنشدته إياه حتى انتهيت إلى قوله:

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْعَصَا هَـلاَّ هَـزِئْـتِ بِغَيْـرِنَـا يَـا بَـوْزَعُ

قال حماد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوزع! أي شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة، فقال: امرأة اسمها بوزع؟! هو بريء من الله ورسوله، ونَفْي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع، إلا غولاً من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع؛ يا غلمان! قفاه؛ فصُفِعت والله، حتى لم أدر أين أنا، ثم قال: جروا برجله؛ فجروا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرق السواد، وانكسر جفن السيف، ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي؛ وكان أغلظ من ذلك كله، وأشد بلاء إغرامي ثمن السواد وجفن السيف، فلما انصرفت أتاني

مطيع يتوجع لي، فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وإن حظي قد مضى مع بني أمية»[1].

د ـ المهدي (١٥٨ هـ ـ ١٦٩ هـ):

«دخلت على المهدي، فقال: أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر، ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف؛ فأنشدته قول الأخطل:

تَرَى الزُّجَاجَ وَلَمْ يُطْمَثْ يُطِيفُ بِهِ ... كَـأَنَّـهُ مِـنْ دَمِ الأَجْـوَافِ مُخْتَضَـبُ
حَتَّى إِذَا افْتَضَّ مَاءُ الْمُزْنِ عُـذْرَتَهَا ... رَاحَ الـزُّجَـاجُ وَفِـي أَلْـوَانِـهِ صَهَـبُ
تَنْـزُوإِذَا شَجَّهَـا بِـالْمَـاءِ مَـازِجُهَـا ... نَـزْوَ الْجَنَـادِبِ فِـي رَمْضَـاءَ تَلْتَهِـبُ
رَاحُوا وَهُمْ يَحْسَبُونَ الأَرْضَ فِي فَلَكٍ ... إِنْ صُرِّعُوا وَقْتِ الرَّاحَاتُ وَالرُّكَبُ

فقال لي: أحسنت، وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته»[2].

المناقشة:

تدل جميع تلك الأمثلة على أن حماداً كان حاضر البديهية، واسع الثقافة، ذا ذاكرة عجيبة في الحفظ والإنشاد، ولم تقتصر روايته على العصر الجاهلي فقط، بل تجاوز ذلك إلى العصر الأموي، فهو يروي لجرير مثلاً. ومن اللافت للنظر أنه لا يكتفي برواية أجزاء من شعر الشاعر، وإنما شعره كله، فهو كان يحفظ شعر جرير كله: «**فسلخ والله شعر جرير كله من**

---

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ص ٧٨ ـ ٧٩.
رامتان: تثنية رامة، ورامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، جـ ٦، ص ص ٨٣ ـ ٨٤.
الطمث: المس.

قلبي». وعلى هذه الشاكلة، ربما كان يحفظ شعر الأخطل، أيضاً، بل إنه ليتعدى ذلك إلى رواية أشعار القبائل، مثل قريش وثقيف وبلي. وتؤكد الشواهد جميعاً على قدرته على استحضار القافية حتى في فترة اضطراب الذاكرة وعدم ثباتها، يساعده في ذلك حدس ذكي على النظر في رغبات المستمعين وعشاق إنشاد الشعر، كما هو واضح من موقفه مع أبي مسلم الخراساني.

ولكن هذه المعرفة الواسعة بالشعر تشير إلى ملاحظة مهمة في روايته، فإذا عدنا إلى قول الأصمعي: «**كل ما في أيدينا من شعر امرىء القيس هو لحماد الراوية**»، وروايته لشعر زهير بن أبي سلمى، ثم هذه الروايات المتعددة التي تشمل شعر الأفوه الأودي وعدي بن زيد، وأبي ذؤيب، والأعشى، والأخطل، وجرير، ظهر لنا أنه لم يكن متخصصاً في أسلوب معين من أساليب الشعر ولا في فن من فنونه. وإنما كان جامعاً لكل ما يقع تحت يديه. وإن كان هناك إحساس يلامس الدارس في أن حماداً كان يميل إلى شعر المتعة والطرب. كما يوحي بذلك إنشاده قافِيَة عدي، وشعر الأعشى، وأبيات الأخطل في السكر، وربما جر هذا الاستنتاج إلى القول إنه كان ذا ميل داخلي نحو الشعر المؤثر نفسياً، كإنشاده أبيات هفان في رثاء أبيه، وقصيدة أبي ذؤيب المشهورة. وليس هذا بغريب على جو حماد، فربما كان لصحبته الوليد بن يزيد أثر في ذلك.

وإن أهم ملاحظة في هذه الأمثلة هي أن أحداً ممن نقل هذه الأخبار لم ينبه إلى الطعن في أحدها أو بعضها، بل رووها على أنها شعر صحيح منسوب إلى صاحبه. والأهم من كل ذلك أنها دليل قاطع على أن هذا الشعر، كان معروفاً قبل حماد، ثم هي لا تترك مجالاً للشك في أن حماداً، كان يرويه رواية. وربما بلغت درجة توثيق حماداً حداً بعيداً، إذ

أخذ شعر الأعشى مشافهة عن راوية الأعشى نفسه سماك بن عبيد، كما سنرى.

ولكن هنا خمس ملاحظات لا بد من التنبه لهـا:

الأولى: التأكيد على الكثرة الهائلة من الأشعار التي يحفظها حماد، حتى إنه يعطي أرقاماً محددة لجزء من محفوظه مثل: «أنشـدته نحواً من ألف قصيدة». وما ذلك إلا في جلسة استماع واحدة.

الثانية: تحديد أسماء الشعراء الذين يروي لهم، ومحافظته على هذا التحديد، مثل: الأفوه الأودي، وعدي بن زيد. وهو تحديد تتفق عليه معظم المصادر الأدبية.

الثالثة: أننا نكاد نطمأن شديد الاطمئنان إلى رواية حماد وحافظته التسجيلية تلك، فقد كان الخلفاء والأمراء يستنشدونه: «**أنشدني شعر هفان**»، «**استعادني قصيدة عمر...**»: «**أنشدني لجرير**»، «**بعثت إليك بسبب بيت...**»، «**استنشدني: أمن المنون...**». وهذا يعني بشكل قاطع أن أولئك الذين استنشدوه، كانوا على علم بما يطلبون روايته. أي إنه لم يخترعها لهم أو يؤلفها من عنده.

الرابعة: أنه كان حافظة تسجيلية، متقدة الذكاء والحضور، بحيث تنقل صاحبها إلى مصاف العبقريات العالمية الخالدة في التاريخ، لولا التشويه ومحاولة الحط منها التي لحقتها على مر الزمان. وليس أدل على ذلك من حادثته مع الوليد بن يزيد. «**قال لي: يا حماد، قلت لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ثم ثاروا، فلم أدر ما يعني، فقال: ويحك يا حماد! ثم ثاروا، فقلت في نفسي: راوية أهل العراق، لا يدري عما يسأل، ثم انتبهت، فقلت: ثم ثاروا...**».

وهذه حالة مبكرة نوعاً ما، أما الحالة المتأخرة، فهي شبيهة بالأولى،

حينما طلب منه أبو مسلم الخراساني أن يأتيه بشعر فيه: «أوتاد»، وكلمح البرق تتبادر إلى ذهنه أبيات الأفوه الأودي.

الخامسة: لقد أدى الخلط والتزيد في الأخبار، على أحسن الظنون، إلى تشويه واقع حماد والخلافة الأموية، وهذا ما تنبه له أبو الفرج حين رفض اتهام هشام بشرب الخمر ثم أكده ابن خلكان. وهذا ما تبين لنا هنا من رواية ابن عبد ربه، حين جعل الحادثة مع الوليد بن يزيد، وهو الموقف المناسب جداً.

والحقيقة أنه لو جاءت معلومات أقدم أو معاصرة لحماد، لاستطعنا أن نزيح كثيراً من الظلم الذي لحق بحماد وروايته، ولاستطعنا أن نرسم له صورة تعيده إلى طبيعته التي كان عليها، ليحتل مكانته التي يستحقها في الأدب العربي، بل لينتقل به الاستشهاد إلى أولئك الرواة العالميين الذين هم مضرب المثل والدراسة في الموروث الثقافي العالمي. وهو اتجاه ابتدأ يحتل موقعه في الميادين العلمية الشفوية والشعبية.